الأدب بين الخاصة والعامة

لامرتين ورينيه جارد

للسيد اسكندر كرباج

(تتمـــة)

ثم يقول لامرتين : نبّه فيّ هذا الحوار فكرة وضع قصص شعبية إجابة لرغبة تلك الفتاة الكريمة . لقد عشت طويلاً في الأكواخ والحقول والشكنات وعلى ظهر البواخر وفي أعالي الجبال ، وعاشرت العمّال والمزارعين والجنود والنوتية والرعاة والخدم الذين يؤلفون قسماً من عيالنا ؛ وتحدثت إلى هذه المقليات الساذجة الصالحة ، وخبرت عاداتها وميولها ولغاتها أكثر مما خبرت عادات رجال المجالس وميولهم ولغاتهم ؛ وكنت شاهداً بل أميناً لأسرار حياة ثمانى شخصيات خاملة ولكنها حافلة بنوب وآلام خفية إذا دوّنت بسذاجة كما رُويت كانت قصائد حقيقية طافحة بالشعور والاحساس ؛ وأعرف الأماكن والحوادث والأشخاص معرفة تامة ، فسأحاول كتابة هذه القصص ونشرها أجزاء متتابعة دون أقلّ اهتمام بفخامة الطبع والورق أو طرافة الأسلوب وإناقة الجمل وشحذ القريحة وكدّ الذهن ، لأن الطبيعة هي روح هذا النوع من الأدب ، والطبقات الوضيعة أقدر على إدراكها والاستلهام بها من الطبقات العالية ؛ فاذا وجدتها في هذه الرسوم العارية من زخارف الفنّ استراقتها واستزادت منها . عندئذٍ تتقدّم أيدٍ أجد من يديّ وأبرع لوضعها بصورة أفضل ، لأن الأدب الشعبي لا يكتمل إلاّ بالمؤلفات العاطفية التي هي من مميزات الطبقات الجاهلة ، وإنجيل العاطفة كإنجيل الدين يجب أن يُبشّر به أولاً بين البسطاء بلغة سليمة كقلب الطفل

وأراد لامرتين أن يطلع رينيه على آرائه فيما يتعلّق بكتابة التاريخ الشعبي فقال لها : لا يزال رجال السلطة عالمون الشعب ويترددون اليه لاعتقادهم أنه مصدر القوة التي يجب أن يعتمدوها في اسقاط الحكومات وابتلاع الوطنيات ، فيستغوونه بشتى الوسائل ، ويشملونه بقولهم إن قوته تولد الحق ، وارادته العدل ، ومجده يكتسب عفو التاريخ ، وانتصار قضيته يبرر كل الوسائط ، حتى الجرائم تخف أمام عظمة النتائج ، فيؤمن بهم ويتبعهم ويساعدهم بقواه المادية ، وبعد أن يتوصلوا بقوة سواعده وإهدار دمه وارتكاب جرائمه إلى اسقاط الطغاة وإثارة أوربا يصرفونه ويأمرونه بالعمل والصمت !

هذه هي الطريقة التي سلكوها إلى الآن في معاملة الشعب وكانت سبباً لانتشار شوائب البلاط بينه واستلذاذه الملق .

ليس هذا ما نريده للشعب ؛ نريد أن يقابلنا واقفاً ، ويخاطبنا وجهاً لوجه ، فهو كسائر عناصر الأمة لا يقل قيمة عنها ولا يزيد ؛ وإذا كان قد تعوّد الكذب والملأة ، ففيه خلتان كبيرتان لا يجوز نسيانهما ، هما الصراحة والجرأة . لذلك هو يعرف أن يحترم مقاوميه ويحتقر متخوفيه . في الحيوانات مالا يفترس إلا من يهرب من أمامه ، والشعب كالأسد يجب ألا يجابه إلا من الأمام

يقوم التاريخ الشعبي على واحدة من هذه القواعد الأساسية الثلاث : المجد ، والوطنية ، والمدنية . فالمجد لا يرضى إلا أمة حربية تبهرها القوة فتعمى عن رؤية الحق ؛ والوطنية تضرم نار الحمية في الشعب فيطوح بنفسه في مهاوي الأثرة والطموح

أما المدنية المستديمة فهي الأصلح لقيادة الفكر البشري بين شعاب الشك وبلبلة الآراء والأهواء والأثرة الفردية أو الوطنية ، ولافهامه أن المجد والوطنية لا ينفعان الأمة والنوع البشري إذا فصلا عن الأدب العام ، لأن المجد لا يقاوم الصلاح ، والوطنية ليست عدوّة الانسانية ، والفوز لا يمكن أن يكون خصما للعدالة ، وأن التاريخ ليس هذا المزيج من الأفراد والأشياء المشوشة ، بل هو خطوة إلى الأمام في طريق الدهور ، إذ لكل أمة شأنها وعملها العظيم ، ولكل طبقة اجتماعية أهميتها في نظر الله . وفضلاً عن ذلك فقيام التاريخ على هذه القاعدة يعلم الشعب أن يحترم نفسه ، ويعرف مقدار قوته ونفعه ، وأنه فوق الأمبراطورية والسلطة ، وأن هذه تكون كما يريد ، فاذا وجد شعباً يشكو من حكومته فهو دليل على أنه لا يستحق غيرها ، هكذا كان تاسيت يفتكر في زمانه ، ولا تزال فكرته تجري مجرى الأمثال إلى اليوم

واعتزامي كتابة التاريخ على هذه القاعدة نبّه فيّ فكرة قديمة كنت عرضتها على الحكومة فلم تصادف القبول ، لأنها ليست آلة للحرب والتدمير بل للسلم والبناء . وهذه الفكرة هي أن حرية الصحافة وديموقراطية الحكومة وحركة الصناعة وانتشار التعليم في كل قرى البلاد وبين كل طبقات الشعب أثار الأذهان ورغب في المطالعة ، وبعد أن أوجدوا في الشعب هذا الميل إلى القراءة فما هي المؤلفات التي وضعوها له ؟ لا شيء !

إن لأبناء الطبقات الغنيّة كثيراً من المدارس العالية حيث يسمعون شروح كبار الأساتذة في كل أنواع العلوم والفنون ،

وإذا لم تكفهم المدارس فعندهم المكاتب الكبيرة والصحف التى تحمل بين دفاتها ما يغذّى العقل والفكر والروح من المواضيع الشائقة . أما أبناء الطبقات الفقيرة العاملة ومنهم الجيوش والبحّارة والرعاة والشيوخ والنساء والأولاد فكل ما عندهم لتثقيف عقولهم وتسلية نفوسهم فى أوقات الفراغ هو التعليم المسيحى وبعض الأناشيد المشوهة والقصص السخيفة ، فمن هذه الكتب القليلة التافهة تتألف مكتبة الشعب ومتحفه وفنّه !

فأردتُ ملء هذا الفراغ فى حياة الشعب الأدبية والعقلية بكتاب لا يقرأ إلا مرة واحدة ، ولكن لا أول له ولا آخر ، وأعنى به صحيفة يومية كبرى يتولى تحريرها نخبة من كبار علماء العصر وكتابه وشعرائه ، بلغة سهلة بسيطة ، وتعابير قريبة من أفهامه تطلعه على أهم أخبار الكون اليومية وسياسته وفلسفته وعلومه وفنونه . وتحقيق هذه الفكرة لا يكلف أكثر من مليون فرنك سنوياً يكفى لجمعها أن يكتتب مليون شخص بفرنك واحد فى السنة ؛ وإذا كنت لم أحقق هذه الفكرة فلأنى لست وحدى هذا المليون ، ولأنه لا توجد فى فرنسا حالاً فكرة تساوى فلساً واحداً !

هذه هى فكرتى يا رينيه فيما يختص بالتاريخ والأدب والشعر والعلوم والفنون التى يجب أن تكتب للشعب ؛ ولا أحب إلى الطبقات الفقيرة ولا أجل وأبلغ من تحقيق هذه الفكرة . ولو أن لى ذكاء الكتاب العاصرين وشبابهم واندفاعهم لقمت بأعمال عظيمة فى عالم الفكر والثقافة ، فأمامنا عالم جديد للاكتشاف لا يتطلب عبور المحيط ككولومبوس ، هو احساس الطبقات العاملة وعقليتها ، فجغرافية العالم الأدبية لا تكتمل إلا متى اكتشفت هذه القارة الشعبية وملئت بمبادئ بحارة الفكر

فتقول له رينيه : لقد فهمت كل أفكارك يا سيدى على رغم سموها وجمالها

فيجيبها : لم أخاطبك إلا كشاعرة ، والشعب شاعر أيضاً لأنه طفل الطبيعة الفطيم ، والطبيعة تخالقها لا تتكلم إلا بلغة الصور . . .

ثم تودعه رينيه وتودع زوجته شاكرة لهما حسن الضيافة ، وتسافر إلى إكس فى مركبة المساء ، وقبل أن تصعد إلى المركبة يقول لها لامرتين : « إذا وضعت بعض القصص الشعبية فاسمحى لى أن أصدر أولاها باسمك »

اسكندر كرباج
من العصبة الأندلسية

للتاريخ السياسى :

٣ ـ اليوم السابع من مارس

ضربة مسرحية فى برلين

للدكتور يوسف هيكل

المعاهدة الفرنسية الروسية ولوكارنو

رأينا كيف أن حكومة برلين قد اتخذت المعاهدة الفرنسية الروسية سبباً لرفضها معاهدة لوكارنو واتخاذها قرار ٧ مارس . فهل النظرية الألمانية صحيحة من الوجهة الحقوقية ؟ أى هل المعاهدة الفرنسية الروسية لا تتمشى مع معاهدة لوكارنو ؟ . وقبل الاجابة على هذا السؤال يحسن بنا أن نعرض بايجاز المحادثات الدبلوماسية التى أدت إلى عقد هذه المعاهدة :

لم يكن هدف فرنسا بادئ ذى بدء ، إيجاد هذه المعاهدة ، بل كانت الدبلوماسية الفرنسية ترمى الى إيجاد « ميثاق شرقى » — لوكارنو الشرقية — بين بولونيا والروسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ودول البلطيق وفينلاندا . ولقد تم الاتفاق على هذه الخطة بين فرنسا وانكلترا أثناء المحادثات السياسية التى دارت بينهما خلال ١١ و ١٢ من يوليه ١٩٣٤ . وزيادة على ذلك قررت الدولتان أن تتحمل الروسيا واجبات معاهدة لوكارنو ازاء فرنسا وألمانيا ، وأن تتعهد فرنسا نحو ألمانيا والروسيا ، فى حالة اعتداء إحداهما على الأخرى ، بمساعدة المعتدى عليه ، على أن تكون تلك المساعدة ضمن دائرة واجبات عصبة الأمم . وبعبارة أخرى أن تعقد معاهدة ثلاثية دفاعية بين فرنسا وألمانيا والروسيا ، يكون مفعولها ساريا فى حالة تعدى احداهن على دولة ثانية داخلة فى الميثاق ، على أن تكون الواجبات الناشئة عنها متمشية مع واجبات لوكارنو والعصبة . وقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن توصى هذه الدول ولا سيما بولونيا وألمانيا بقبول هذه الاقتراحات . غير أن سعيها قد خاب . وقد أبانت ألمانيا بصراحة بأنها تفضل « المعاهدات الثنائية » — بين اثنين